دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	العمارة الدينية لبنى خراسان فى مدينة تونس
المصدر:	مجلة التنوير
الناشر:	جامعة الزيتونة - المعهد الأعلى لأصول الدين
المؤلف الرئيسي:	السعيدى، وئام
المجلد/العدد:	ع15
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2017
الصفحات:	431 - 447
رقم MD:	836133
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	العمارة الإسلامية، العمارة الدينية، الإمارة الخراسانية، بنى خراسان، جامع القصر، مسجد المهراس، مدينة تونس
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/836133

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

د.وئام السعيدي(*)

العمارة الدّينية لبني خراسان في مدينة تونس

عرفت مدينة تونس طيلة الفترة الوسيطة[1] نفس الأحداث التاريخية التي شهدتها بقية المدن التونسية ابتداء من الفتوحات الإسلامية وفترة الولاة إلى قيام الدولة الحفصية، حيث كانت تابعة للسلطة المركزية بالقيروان أو المهدية، وفي عهد الإمارات المستقلّة نشأت المدن ذات الحكم الذاتي المنفصل، وأصبحت تونس[2] إمارة خراسانيّة نجحت خلالها عائلة بني خراسان من تحقيق ازدهار عمراني برزت ملامحه في رقي مظاهر التّمدن بتشييد الجوامع والمساجد التي تعكس لنا مدى التّطور الحضري في عهدهم، فأعطوا اهتماما

(*) أستاذة فنون التراث، تونس.

(1)الطالبي (محمد)، الإمارة الأغلبية: التاريخ السياسي 800 – 909 م، تعريب المنجي الصيادي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1985؛ الدشراوي فرحات، 1994؛ إدريس (الهادي روجي)، الدولة الصنهاجية: تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12(جزآن)، تعريب حمادي الساحلي، بيروت، 1992.؛ برنشفيك (روبار)، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى القرن 15 (جزآن)، تعريب حمادي الساحلي، بيروت، 1988؛ حسن (محمد)، المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي (جزآن)، تونس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس1، 1999.

(2)DAOULATLI. (A.), TUNIS Capitale des Hafsides (6251574/982-1228/), Achevé d'imprimer en Tunisie septembre 2009.

كبيرا لجامع الزّيتونة وساهموا في إثراء حلّته الهندسية،باعتباره المركز الدّيني والسياسي للمدينة وحوله نشأ القلب التّجاري والاقتصادي ومنه تنطلق محاور الطرقات الرئيسيّة لتصل إلى الأرباض، وقاموا بتشييد جامع القصر في جهة باب منارة، ومسجد المهراس في مدخل باب البحر حاليا.

لمحة تاريخيّة عن الإمارة الخراسانيّة

عندما دخل بنو هلال إلى افريقية سيطروا على القيروان عاصمة الزّيريين سنة 449 هـ/ 1057 م وقاموا بتقسيم البلاد بين فروعهم الرئيسيّة لتخضع مدينة تونس لقبيلة رياح الهلالية يقول ابن عذاري: «استحوذوا على كثير من حواضر إفريقية، وكان منهم في حصار تونس وما يليها من البلدان»[3]، وبذلك «انقطع بها ملك المعزّ»[4] حسب عبارة ابن خلدون، إزاء هذا الوضع الجديد فضل ثلّة من شيوخ المدينة الانتقال إلى قلعة بني حمّاد ليطلبوا من حاكمها النّاصر بن علناّس الحمّادي تقديم والٍ من قبله على السكّان يدير شؤونهم ويدبر أمورهم وذلك سنة 450 هـ/ 1058[5]، واستنادا لابن عذارى نصحهم بأن يختاروا من بينهم شيْخا يكون على رأس الإمارة فأورد لنا النصّ التالي «فمشى أشياخ من أهلها إلى الناصر بن علناس، وهو إذ ذاك في القلعة دار ملكهم..فاستدعوا منه النظر إلى مدينتهم وتقديم وال من قبله عليهم فأمرهم أن يختاروا شيخا منهم، يقوم بأمرهم خلال ما ينظر إليه»[6]. فقاموا بتعيين عبد الحقّ بن عبد العزيز بن خراسان الذي تعود أصوله إلى قبيلة صنهاجة.

---

(3) ابن عذارى، ابن عذارى (عبد الله بن محمد المراكشي) ت بعد 712 هـ/ 1312 م، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (4 أجزاء)، بيروت – لبنان، 1948. ص315.

(4)ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمان بن محمد) ت 808 هـ/ 1406 م، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، (6 أجزاء)، بيروت 1959. ص 334.

(5) إدريس الهادي روجي، نفس المرجع، ج1، ص310.

(6) ابن عذارى، نفس المصدر، ص315.

وقد كرّس النظام الوراثي في الحكم ليتولى أبناؤه السلطة من بعده[7]، وحكم الإمارة بمعيّة مجلس شيوخ شبّهه جون بونسي «بالجمهوريّة البرجوازيّة»[8]، ومصطفى سليمان زبيس «بالجمهوريات الإيطاليّة»[9]، والأقرب أنّه مستمد من نظام «الجماعة البربريّة»[10]كما أشار إلى ذلك الهادي الروجى ادريس. وقد أقام علاقة مرنة مع السّكان فكسب ثقتهم. ودفع إتاوة سنويّة للعرب ليكفّ بها عاديتهم على المدينة، توفي عبد الحقّ بن خراسان سنة 488 هـ- 1095م، فتقلّد الحكم ابنه أبو محمد عبد العزيز بن عبد الحقّ بمساعدة أخيه أبو الطّاهر إسماعيل بن عبد الحقّ، وقد ورد اسم الأخوين معا في نقيشة قبة سيدي بوخريسّان المؤرّخة بسنة 486 هـ/ 1093م، وبعد وفاة محمد عبد العزيز بن عبد الحقّ يوم السبت 5 محرم سنة 499 هـ/ 17 سبتمبر1105م[11]، صعدابنه أحمد بن خراسان إلى السّلطة، وتواصلت فترة حكمه حوالي اثنتين وعشرين سنة، انتهج خلالها سياسة داخليّة صارمة وضعت حدّا لمنافسيه ومعارضيه «فخرج عن سيرة الأشياخ إلى آثار جبابرة الملوك»[12]. وخاض الحروب مع بني زيرييقول ابن خلدون: «ونازله علي ابن يحي بن العزيز بن تميم سنة عشر وخمسمائة وضيّق عليه ودافعه بإسعاف غرضه فأفرج عنه»[13]. وفي سنة 522 هـ/ 1128م بعث له المنصور صاحب بجاية عسكرا سيطر على المدينة. وبذلك خضعت للحكم المباشر لبني حمّاد في المغرب الأوسط إلى سنة 543 هـ/ 1148م، ليتقلّد شؤون الإمارة بعد ذلك كرامة بن المنصور بن حمّاد، ثمّ عيّن صاحب بجاية أبا الفتوح بن المنصور ثم محمد بن أبي الفتوح يقول

---

(7) ابن خلدون، نفس المصدر، ص334.

(8) PONCET (J.), «Le mythe de la catastrophe hilalienne» Annales ESC, 1967, PP10861107-.

(9) ZBISS (M.S.), Monument de la Médina de Tunis, INAA, Tunis 1981.p6.

(10) إدريس الهادي روجي، نفس المرجع، ص311.

(11) ZBISS, (M.S).Inscriptions de Tunis et de sa Banlieue, Tunis, 1955, P 58.

(12) ابن عذارى، نفس المصدر، ص315.

(13) ابن خلدون، نفس المصدر، ص335.

ابن خلدون: «وساءت سيرته فعزل وولي مكانه عمه معدّ بن المنصور»[14]، وقد ثارت عليه العامة فركب البحر في أسطول إلى بجاية وهو آخر الولاّة الحمّاديين. ابتداء من 543هـ/ 1148 معاد الحكم للخراسانيّين بعد أن انقطع عنها منذ سنة 522هـ/ 1128م، حيث استنجد الأهالي بأبي بكر بن إسماعيل بن عبد الحقّ الخراساني الذي نفي إلى بنزرت عهد أحمد بن خراسان، ليبقى في الحكم مدّة سبعة أشهر قبل أن يأخذ مكانه ابن أخيه عبد الله بن عبد العزيز بن إسماعيل بن عبد الحق الخراساني، وفي عهده أخذ الموحدون مدينة تونس بعد أن سيطروا على سواحل افريقية وطردو االنّورمان في إطار مشروعهم التّوحيدي لكامل بلاد المغرب سنة 554هـ.

المعالم الدّينية لبني خراسان

جامع الزّيتونة المعمور عهد بني خراسان: قرن من الحضارة والعمارة

حفظ لنا جامع الزّيتونة مختلف الحقبات التاريخيّة والضوابط الزمنيّة لأكثر مراحل بنائه وتجديده وإضافاته من خلال مجموعة من المرتكزات والنقائش المحفورة على حجارته فأبقى لنا شواهد سمحت بتصنيف طرزه المعماريّة المنتمية للفترة الأغلبيّة والفاطميّة الزّيرية والخاصة بالدّولة الخراسانيّة، وتبرز مآثر حكّام هذه العائلة في مختلف أركانه، فازدانت حلّته المعماريّة داخليّا وخارجيّا، وفي العهد الخراساني ارتفع عدد أبوابه من ستّة أبواب إلى اثني عشر بابا[15]، لينفتح على محيطه الخارجي فلم يعد على هيأة قلعة محصّنة، وتلك المؤرّخة بنقيشة هي الباب الذي يفتح على الواجهة الشرقيّة للجامع (صورة عدد1) ونصّ النقيشة هو الآتي:

بسم الله الرحمن الرحيم

مما أمر بعمله القاضي عبد الرحمن بن محمد بن الفقيد محرز رحمة الله عليه وذلك في أوائل شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسين واربعماية.

---

(14) ابن خلدون، نفس المصدر، ص336

(15) الدولاتلي، الزيتونة، عشرة قرون من الفن المعماري التونسي، تونس، 1996، ص 48.

يمثل هذا النّص أقدم نصّ معماري تخليدي مؤرّخ وصلنا عن الفترة الخراسانيّة، وضع فوق ساكف الباب من الواجهة الشرقيّة لتسهيل حركة خروج ودخول المصلّين إلى بيت الصّلاة ومزيد إضاءتها، وهو يدلّ على تزايد عدد المصلّين نتيجة لتطوّر الحركة العمرانيّة بفضل الوضع السياسي والاقتصادي المستقرّ للمدينة. كما نسجل في هذا النّص اقتصارا على تخليد اسم الآمر بهذا العمل وهو عبد الرّحمان بن محمد بن الفقيه محرز، وربّما يكون حفيد القاضي محرز بن خلف الذي توفي سنة 413 هـ. وهو إشارة عن توارث لمنصب القضاء أو عن تخصّص في الفقه والقضاء داخل أفراد العائلة الواحدة. ولم تكن السّلطة الرّسمية هي الآمر بهذا العمل بل هي مبادرة شخصيّة خاصة مع علمنا أنّ جدّه محرز بن خلف قام بترميم أسوار المدينة والأقرب بالتالي أن يكون عملا تطوّعيا وليس رسمّيا. والباب الثاني هو باب سوق العطّارين (صورة عدد 2) الذي يصل بين الرواق الشمالي والغربي من الصحن ويفتح على سوق العطّارين، وهو مؤرّخ بنقيشة توجد في أعلى ساكفه تحمل نصّا تخليديّا مؤرّخ في رمضان سنة 474 هـ/ 2 فيفري – 3 مارس 1082م[16]، يتكوّن من عشرة أشرطة كتابيّة من الخطّ الكوفي البارز الخرّاساني المزهّر على لوحة مستطيلة الشّكل(1م× 70 صم) يحيط بها إطار مسطّح، وترتفع الحروف العالية داخله 10 صم، وقدّت من الرّخام الأبيض ونصّ النّقيشة كالآتي:

1 – بسم الله الرحمن الرحيم

2 – وصلى الله على النبي محمّد

3 – وعلى آله وسلم ممّا أمر بعمله

4 – الشيخ أبو محمد عبد الحق

5 – ابن عبد العزيز بن عاشور

(16)زبيس (مصطفى سليمان)، نقائش عربية، 1955، ص38–40، ابن عاشور(محمد العزيز)، جامع الزيتونة المعلم ورجاله، دار سيراس للنشر، تونس 1994، ص 28، عبد الجواد لطفي،النقائش المعمارية بكبرى مدن إفريقية التونسية إلى نهاية القرن الخامس هجري/ 11 ميلادي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس 1، 1996. ص 162.

6 – سان في شهر رمضان من سنة
7 – أربع وسبعين وأربعمائة
8 – ومن بنا عبد الغني ابن المليلي
9 – وعوض ابن القبيطي وصلى
10 – الله على النبي محمد وآله

يدلّ هذا الباب بتركيبته المعماريّة على أنّه فُتح استجابة لعملية توسيع معمّاري في الجانب الجوفي لنفس الغاية التي فتح لأجلها باب العطّارين ليسهّل عمليّة دخول وخروج الناس من الجامع. ويُنسب إلى عبد الحقّ بن عبد العزيز بن خراسان مؤسّس الإمارة الخراسانيّة. وأمّا فيما يتعلّق بمنفّذيْ هذه الأشغال فهما عبد الغني بن المليلي الذي ورد اسمه في نقيشة قبة سيدي بو خريصان وعوض ابن القبيطي القائم على أشغال مسجد المهراس. وتكرّرت بذلك ظاهرة تخصّص أفراد العائلة الواحدة في نفس الحرفة على غرار ما رأيناه مع عائلة البرجيني. وأمّا بالنسبة إلى الجانب الفني لهذا النّص هي بمثابة المؤشّر على ما بلغته الكتابة من إتقان وأصبحت تمهّد لظهور الكتابة النسخيّة. أما بقيّة الأبواب غير المؤرّخة بنقيشة، فنجد بابًا على الواجهة الشرقيّة، وبابيْن على الجهة الغربيّة وتدلّ عمارتها على انتسابها إلى الفترة الخراسانيّة من خلال شكل الإطار المحيط بها والحجارة المسطّحة ذات اللّونين البني والأحمر إحدى خصائص الفنّ الخراساني. وفي داخل الجامع نعثر على نقيشة مثبّتة في غرفة الإمام على جدار القبلة عند الحدّ الفاصل بينه وبين سقف غرفة الإمام وهي محفوظة الآن بمتحف باردو، تحمل نصّا تخليديّا في عارضة مستطيلة (2×0.10 م) بدون إطار يبلغ ارتفاع الحروف العالية فيها 9 صم، متكوّن من شريط كتابي واحد. من الخطّ الكوفي البارز نصّها[17]: «..؟ عمل على يد (الشيخ) أبي محمد عبد الحق بن عبد العزيز ابن (كذا) الله..» وهو يخلّد عمل

(17)العجابي حامد، 1982، العجابي (حامد)،«خزف صبرة المنصورية»، إفريقية عدد 11 – 12، ص 7 – 81، المعهد الوطني للآثار، 1992 – 1993.ص 22، عبد الجواد لطفي،نفس المرجع، ص 180.

الحاكم عبد الحقّ بن عبد العزيز بن خرسان، جاء مبتورا في بدايته ونهايته، لذا نرجّح أن يكون هذا النّص جزءا فحسب من أحد الأشرطة الكتابيّة التّامة والطّويلة نسبيّا. ويمكن أن يتضمّن على الأقل البسملة وتاريخ تنفيذ العمل. أمابقية التّحويرات والتّحسينات المعماريّة داخل الجامع فهي في الصّحن تحت الرّواق القبلي نجد قبّة البهو (صورة عدد 3) التي مثّلت في حدّ ذاتها فسيفساء من الفنون المعماريّة التي عرفتها البلاد حسب نقيشة موثّقة في رقبتها تعود إلى سنة381هـ/ 991م، أُعتمد في زخرفتها على تقنيّة بناء يصطلح عليها «بالأبلق»، وهي عبارة عن تبادل الحجارة بين لون الحجر الأحمر والبنّى، نفس الزخرف نلحظه في الجانب الأيسر من المحراب على جدار القبلة (صورة عدد4) ويعدّ من الخاصيّات المميّزة لفنّ البناء الخراساني حيث نجده في قبة سيدي بوخريصان وفي نقيشة مسجد المهراس كما تعطينا هذه التقنية شكل المثلّث خاصة في كوشات العقود. ونجد داخل بيت الصلاة، على مستوى حائط القبلة بالجانب الأيسر للمحراب، زخرف هندسي تمثّل في ثلاثة أقواس مُدمجة ويعلوها إفريز، واحد من هذه الأقواس يعلوه طاقة صمّاء وهي الوحيدة التي بقيت من ضمن سلسلة قدُطمست، نستطيع إرجاع هذا الزُّخرف إلى القرن الحادي عشر وبداية القرن الثاني عشر وهو شبيه بذاك الذي نجده في بقيّة المعالم الخُراسانية وكذلك في جامع صفاقس وسيدي علي عمّار بسوسة[18]. وتتقدّم المحراب أعمدة مُتوأمة تحمل تيجانًا من الصنف الخُراساني والحفصي، يصفها لنا خلال القرن السّادس الهجري جغرافي مغمور هو محمد بن أبي بكر الزّهري[19]، الذي يقول بأنّها أعمدة «مذهّبة» إلى جانب تقديمه لوصف عام عن بعض العناصر المعماريّة للجامع وعن مواد بنائه.

(18) ZBISS, S.M., «La Grande MosquéeZitouna de Tunis», CRAI, 1953, PP443452-

(19) شبّوح ابراهيم، إشارات وهوامش حول جامع الزيتونة، الحياة الثقافية، 1997، ص4-10.

جامع القصر[20]

يقع جامع القصر في الناحية الشماليّة الغربيّة للمدينة في ربض باب منارة بجانب القصبة في موقع غير بعيد عن الأسوار تفصله ساحة صغيرة عن دار حسين المعهد الوطني للتّراث حاليا، حيث تقع أيضا في نفس النّاحية قبّة سيدي بوخريسان.(صورة عدد 5)

- **الوصف العام للمعلم**: يحتل الجامع أرض مسوّرة تأخذ شكل مستطيل طوله 50م وعرضه 19م. ويتكوّن المعلم من جزئين مختلفين وضعا على محور شرقي غربي.

نجد في الجناح الشّرقي بيت الصلاة. بينما خصّص الجناح الغرّبي للصّحن وبيت الوضوء. وتطلّ واجهة المعلم الرئيسيّة على الشارع الذي يحمل نفس التّسمية. وقد شهد المعلم العديد من التّرميمات والإصلاحات عبر السنين.

- **بيت الصّلاة**: تأخذ بيت الصلاة شكلا مستطيلا تبلغ أبعاده من الخارج 30م طولا و19م عرضا. أمّا من الداخل فمقاييس طولها 24م وعرضها 15م. وهي مغطّاة بأقبية متقاطعة محمولة على عقود مدعّمة تحملها أعمدة قديمة ذات ارتفاع يصل إلى 4م. تنقسم بيت الصّلاة إلى سبع بلاطات متعامدة مع جدار القبلة وأربعة موازية له تكون بلاطة المحراب أكثر اتّساعا وارتفاعا عن البقيّة. وتقوم بائكة الرواق الموازي لجدار القبلة على أعمدة متوأمة ما يعطى للمعلم صفة التّناظر. ولكن التثبّت في هندسة المعلم يبرز بعض الشوائب في تنظيم البلاطات فنجد تفاوتا في الاتساع والاتجاه من الشرق إلى الغرب وهو ما تبرزه المقاييس التالية: - 3.30م - 2.80م - 3.5م - 2.40م - 2.60م - 3.20م.

---

(20) MAHFOUDH (F.) Architecture et Urbanisme en Ifriqiya médiévale (Proposition pour une nouvelle approche), Centre de Publication Universitaire, Faculté des Lettres de La Manouba ,2003 . ; MAHFOUDH (F.), « observation sur la mosquée AL-Kasr de Tunis», Mélange d'Archéologie, d'Epigrahie et d'Histoire, INP, Tunis, 2001, PP 165-193. REVAULT(J.), Palais et Demeures de Tunis (XVIII - XIXéme, Paris, 1983, PP229-261.

ويمكن تفسير هذا التباعد بعدم قدرة المهندس أو البناء على جعل الدعامات متساوية لأنّه واجه عدّة عوائق فاضطر إلى وضع هذه التقنية ما أدى إلى عدم تجانس مقاييس البلاطات وعدم تساوي خطّ العقود والأقبيّة.

أما المحراب (صورة عدد 6) فيحتل الجدار القبلي للمعلم،ويتميّز بعناصره الضخمة، فيصل ارتفاعه إلى 4.50م واتساعه 3.27م وعمقه1م. ومثل بقية المحاريب بإفريقية فإنّه يتكوّن من جزئين: يتمثل الجزء السفلى في حنية نصف اسطوانيّة مزخرفة بقنوات تعلوها عقود صغيرة، أمّا الجزء العلوى فجاء على شكل قبّة نصف دائريّة أخذت شكل محارة تشعّ من الأعلى إلى الأسفل.

في الجهة الشرقيّة من بيت الصلاة نجد فتحة تؤدّى إلى صحن صغير وهي دون شكّ مقصورة الإمام. ويجب الإشارة إلى أن بيت الصلاة خالية من كلّ شكل زخرفى، وقد بنيت من حجر رملى لونه فاتح أو من الصلصال ذي الحجم الكبير وتبلغ مقاييسه 50صم 30صم تمّ جلبها من قربص ومن مقاطع الوطن القبلى وأيضا من هضبة سيدي بوسعيد، أمّا الحجارة الكبيرة ذات اللّون الأصفر الفاتح فهي من مقاطع الهوّارية، على خلاف الصحن الذي جعل من دبش مطّلى بالجير. يمكّننا هذا النوع من الحجارة من بناء جدران سميكة حيث يبلغ سمك الجدار الجنوبى 2.5م، والجدار الغربي 2م، أما الجدار الشمالي فيبلغ سمكه 3م والشرقي 2.50م، ويصل طول هذه الجدران إلى 8م.

– **الصحن**: يبلغ طول الصحن 12م وعرضه 18م، يتقدمه من الجهات الأربع رواق عمقه 3م. كل جهة تتكوّن من بائكة تحملها أعمدة معادة الاستعمال يبلغ ارتفاعها 3م. في طرف حائطه القبلي يوجد محراب خال من أي زخرف يتكوّن من حنية تعلوها قبة نصفية. ونجد في الزّاوية الشماليّة الشرقيّة للصحن بوّابة صغيرة تمكّن من الدخول إلى بيت الصلاة التي تنخفض عن أرضيّة الصحن بحوالي مترين.

ينفرد جامع القصر بضخامة هندسته وعمارته وجدرانه السّميكة وأحجاره الكبيرة، لكن يندر ذكره في المصادر ناهيك عن وصفه، كما لم تشر

إليه الكتب الجغرافيّة أو كتب التّراجم والمناقب التى عادة ما تملأ الفراغ الذي تتركه النّصوص الأدبيّة، رغم أنّ العديد منها تعرّض إلى مكوّنات المدينة عهد بني خراسان مثل الأسوار والأبواب[21]، ممّا جعل الآراء تختلف حول انتسابه إلى هذه العائلة.

أورد لنا ابن خلدون إشارة عن أحمد بن خراسان، تفيدنا بأنّه «كان من مشاهير رؤساء بني خراسان هؤلاء فاستبد بتونس لأوّل المائة السادسة وضبطها وبنى أسوارها، وعامل العرب على إصلاح سابلتها فصلحت حاله، وبني قصور بني خرسان»[22]، واكتفى ابن عذارى بذكر أنّه «قد بنى قصرا سمى قصر بني خراسان»[23]، فهل جاءت تسمية جامع القصر نسبة إلى هذا القصر؟ غير أن الإشكال يبقى في تحديد موقع هذا القصر الذي لابد أن يكون قريبا من موقع الجامع أي في الجهة الغربيّة من المدينة غير بعيد عن الأسوارالحفصيّة في ربض باب منارة، والحال أنّه ليست لدينا مؤيّدات تاريخيّة أو أثريّة تدلّنا على ذلك فكانت اجتهادات الدراسات الحديثة[24] التي ارتكز فيها المدافعون المعاصرون على فكرة انتسابه إلى هذه العائلة على الإشارات

---

(21)البكري (أبو عبيد بن عبد العزيز)، ت 487 هـ/ 1094 م، المسالك والممالك، (جزآن)، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، تونس، 1992. ص 695ـ696، الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد الحمودي)، ت 560 هـ/ 1166 م، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق محمد الحاج صادق، بيروت 1989 ص285، مؤلف مجهول، ت في نهاية القرن السادس هجري/ الثاني عشر ميلادي، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، الاسكندرية، 1985. ص122.
PEYSONNEL (J.), Voyage dans la régence de Tunis et Alger, 2T, Paris, 1838.P53. ; MARCAIS(G.), Kairouan et Tunis, Paris, 1937. P78. ; PELLEGRIN (A.), Le vieux Tunis les noms de rues de la ville Arabe, Tunis, 1951.P48.

(22) ابن خلدون، كتاب العبر، ج6، 1959، ص334.

(23) ابن عذارى، البيان المغرب...، 1962، ج1، ص 314

(24) BRUNSCHVIG, (R.), La Berbérie orientale sous les Hafsides des origines à la fin du XVe siècle, 1940,P 340.
POINSSOT (P.), «Quelques édifices du Moyen Age et des temps moderne» Tunisie AtlasHistori Géographique, Economique et Touristique, Paris, 1936. P49; IDRIS (H. R.), La Berbérie orientale sous les Zirides, 2T Paris, 1962, PP61- 63,REVAULT(J.), Palais et Demeures de Tunis (XVIII – XIXème), Paris, 1983, PP229261-.

التالية: موقع المعلم في شارع يحمل اسم بوخريصان، وتسمية الجامع بالقصر يجعلنا نعتقد بأنّه قريب من قصر أميري وهو الذي يحتلّ حاليا دار حسين، كما أنّ النّمط المعماري للواجهة الشرقيّة شبيهة بالواجهات الزّيريّة خلال القرن الحادي عشر الميلادي، وشكل المحراب يشبه المحاريب الزّيرية بالمنستير وبجامع المهديّة، حيث يرى روباربر نشفيك أنّ هذه العائلة ساهمت بشكل كبير في ازدهار مدينة تونس وبفضل أمرائها ارتقت إلى مرتبة العاصمة وأشهرهم أحمد بن خراسان 494هـ/ 1100م - 522 هـ/ 1128م، الذي بني الأسوار والقصر المعروف الذي ينسب إليه حاليا جامع القصر نتيجة للتوسع الحضري للمدينة، حيث تقع في هذه الناحية القبة الخراسانية وهي امتداد لمقبرة السلسلة تحديدا في شارع بوخريصان الذي احتفظ بتسمية العائلة مع بعض التحريف، وقد دافع عن نفس الفكرة في بحثه حول الدولة الحفصيّة مؤكّدا أن بناء جامع القصر يندرج ضمن مخطط حضري ببناء جامع أو مسجد في كلّ نواحي المدينة. ونحن نؤيّد رأيه استنادا إلى ارتفاع عدد أبواب جامع الزيتونة نتيجة النّمو الديمغرافي للسّكان وتشييد مسجد المهراس في النّاحية الجنوبيّة للمدينة في مدخل باب بحر، وسانده في هذا الطرح كل من بونسو POINSSOT والهادي روجى إدريس، وفي نفس السّياق وبصفة مدققّة كتب جاك ريفو JACQUES REVAULT سنة 1957 بأنّ المعالم الموجودة في مدينة تونس سواء منها القديمة أو التي تمّ تشييدها خلال القرن السادس العشر الميلادي، يصعب تحديد انتمائها إلى الفترة الحفصيّة، غير أن بعض المعالم مثل دار حسين وتلك الموجودة في نفس الضّاحية الجنوبيّة، يمكن أن ننسبها بحكم موقعها في الحي الأميري الذي يحمل تسمية بني خراسان إلى نفس هذه العائلة (1057م - 1159م). وقد اعتمد في تحليله على ابن خلدون الذي ذكر بأنّ بني خراسان سكنوا هذه الناحية ومن آثارهم الباقية جامع ومقبرة، وقامريفو REVAULT بتحديد مكان القصر والجامع ليصل إلى استنتاج هام هو أن الواجهة الرئيسيّة للجامع تؤدي مباشرة إلى القصر. بينما تطرّق أحد أهمّ المختّصين في

العمارة الإفريقيّة جورج مارساي، في أبحاثه الأولى «تونس والقيروان»، إلى الدور الذي اضطلع به بنو خراسان في تحقيق الازدهار للمدينة فعملوا على تأكيد ودعم نفوذهم ببناء صرح يخلّد حضورهم وانجازاتهم بتونس، فحدّد لنا موقع القصر في الجهة الشماليّة الغربيّة للمدينة في الجزء الأعلى منها بعيدا عن البحيرة، في جنوب غربى الجامع الكبير، حيث بقيت مخلّفاتهم الأثريّة. كما بيّن أن هذا المقرّ الأميري بني على شكل مسكن محصّن لذلك سميّ بالقصر، واستنادا إلى التّسمية استنتج بأنّ القصر تابع للخراسانيّين. لكنّه يعتقد من ناحية ثانية، بأنّ تحليل الهندسة المعماريّة للواجهة الشرقيّة التي زخرفت بسلسلة من الأقواس الصّغيرة، أخذت شكلاً منفردا يعطى لجامع القصر هيئة معلم قديم. ليتخلى في ما بعد عن هذه الملاحظات، ويتّفق مع أغلبيّة الباحثين على أن جامع القصر يعود إلى الفترة الوسيطة.

مسجد المهراس[25]

يقع مسجد المهراس (صورة عدد 7) في الجهة الشّرقية من مدينة تونس، قرب باب البحر، في مدخل طريق جامع الزّيتونة الذي يمثل منطلق لإحدى أهم المحاور الرئيسيّة التي تشق المدينة من شرقيّها إلى غربيّها في اتجاه القصبة والذي يتقاطع في مستوى الجامع الكبير (الزيتونة) مع محور آخر شمالي جنوبي ينطلق من باب سويقة ليصل إلى باب الجزيرة، بذلك يقع مسجد المهراس في قلب المركز التّجاري والمركز الدّيني لمدينة تونس ويعود تأسيسه حسب نقيشة مثبّتة في يسار مدخل المسجد إلى عبد الحقّ بن عبد العزيز بن خراسان مؤسّس الدولة الخراسانيّة.

– **الوصف العام للمعلم**: يتمثّل المسجد في وضعه الحالي معلم حضري يقع على مساحة غير متساوية الأضلاع يميل إلى الاستطالة بين الشمال والجنوب. وينقسم إلى جزئيين: بيت الصّلاة والصّحن. ويتوسّط مدخله الرّئيسي الجهة

(25) MAOUDOUD (K.), «L'inscription Khurasanide de Masgid Al- Mihras 485H /1092 J.C «AFRICA, XI-XII, 1992, PP199-207.

القبليّة،ويفضى إلى سقيفة مربّعة الشكل يوجد على يمينها ميضأة محدثة، وعلى يسارها نقيشة التّأسيس مؤرّخة بسنة 485 هـ/ 1092م.

على نفس المحور نجد باب بيت الصّلاة الذي يفتح في ضلعها الشرقي وهي تنقسم إلى ثلاث بلاطات طوليّة وخمسة بلاطات موازية لجدار القبلة، في الرّكن الشمال الغربي تمتد غرفة ذات قبو طولي يكتنف بيت الصلاة أربعة أبواب يفتح الباب الرئيسي على البلاطة الأولى الموازية لجدار القبلة نجد الباب الثاني على مستوى البلاطة الرابعة والثالث على مستوى البلاطة الخامسة ويؤدى إلى الطابق الثاني والذي يصعد إليه عبر أدراج. تفتح جميع هذه الأبواب على الصحن، وهو الجزء الثاني المكوّن للجامع ويحيط ببيت الصلاة من الجهتين الشرقيّة والشماليّة حيث يوجد في جهته الشمالية بابان يفضيان إلى بيت الصلاة، أما من الجهة الشرقيّة فيأخذ هذا الجزء من الصحن شكل مربع في طرفه القبلي يوجد رواق ذي عقدين. وفي الركن الشمال الشرقي توجد الصومعة المستحدثة.

الوحدات المعماريّة:

- **بيت الصّلاة:** يفضى المدخل إلى قاعة مستطيلة الشّكل بين الشّمال والجنوب تتكون من ثلاث بلاطات طولية وخمسة بلاطات عرضية، يتكوّن سقف القاعة من أقبية متقاطعة تحملها عقود نصف دائريّة متجاوزة تسقط على أعمدة معادّة الاستعمال في مستوى البائكة العموديّة الثانيّة والثالثة وعلى ركائز في مستوى الجدار الشّرقي والغربي والتي تحمل عقود صمّاء، كما تقوم البائكة الثالثة الموازيّة لجدار القبلة على ركائز يبلغ طول الواحدة 3م ذات شكل مربّع سمكها 60 صم/ 60 صم، أما البائكة الرّابعة الموازية لجدار القبلة فتقوم على اسطوانتين لا تحمل فوقها تيجان وليس لها قاعدة بينما تصل إلى أعلى السقف حيث نجد الطّابق الثاني. بالنسبة لأعمدة بلاطة المحراب تعلوها تيجان من النّمط الحفصي نجد ثلاث متشابهة وواحد في الرّكن الشمالي الغربي مختلفا عنها وترتكز هذه الأعمدة على قواعد مربّعة.

يقع المحراب في محور جدار القبلة ينقسم إلى مستويين، مستوى سفلي يأخذ شكل حنية ذات قوس نصف دائري من الرّخام المتوسط الحجم، أما المستوي العلوي فقدّ من الجصّ وهو محدث، ونظرا لأعمال التّرميمات لا يمكننا أن نميّز العناصر المعماريّة الأصلية في هذا الجامع عن تلك المضافة، تعلو المحراب قبة كرويّة الشكل تحوّلت من الهيكل المربّع إلى الشكل الدائري بواسطة مثلثات كرويّة وطاقات ركنيّة تأخذ شكل محارات، يفصل الجزئين رقبة تحمل نقيشة. أما الجزء الثّاني لبيت الصّلاة يتمثّل في وجود طابق ثاني على مستوي البلاطة الخامسة. ومقصورة في الرّكن الشمالي على مستوى الأسكوب الشّرقي وأخرى مغطّاة بقبّو طولي في شمال الأسكوب الغرّبي ربّما كانت في الأصل الميضأة.

- **الصحن**: يمتدّ الصّحن شرقي بيت الصّلاة، يأخذ شكل مستطيل من النّاحية القبليّة يوجد رواق تتقدّمه بائكة متكوّنة من عقدين يسقطان على ثلاث أعمدة تحمل فوقها تيجان وهذا الرّواق حسب الرّواية الشفويّة يمثّل الحدود الأصليّة لمساحة الجامع أمّا الجهة الجوفيّة فنجد فضاء يحيط ببيت الصّلاة، وفي الرّكن الشمالي الشرقي منه توجد الصّومعة الهرميّة الشّكل.

- **النّقيشة المعماريّة للمسجد (صورة عدد 8)**: توجد النّقيشة على جدار يسار مدخل المسجد من الدّاخل ويحيط بها إطار على شكل عقد مثبّتة في لوحة مستطيلة الشّكل مقاييسها 60 × 37 صم، يبلغ ارتفاع الحروف العالية داخلها 6.7 صم، تحمل نصّا تخليديّا مؤرّخا في رمضان 485هـ/ 5 أكتوبر - 3 نوفمبر 1092م، تتكوّن من عشرة أشرطة كتابيّة من الخطّ الكوفي البارز الخراساني قدّت من رخّام ذي لون رمادي.

- **نصّ النّقيشة**[26]:

- بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على
- محمد وعلى آله وسلم. قل هو الله أحد

(26) ZBISS (M.S.), Inscriptions de Tunis et de sa Banlieue, Tunis, 1955, PP4142- ; MAOUDOUD (K.),Op.Cit,1992, PP199207-.

- الله الصمد. لم يلد ولم يولد ولم يكن له
- كفؤا أحد مما أمر بعمله الشيخ الأجل
- أبو محمد عبد الحق بن عبد العزيز بن خراسان
- من شهر رمضان سنة خمس وثمانين وأربعماية.
- رحم الله من دعا له بالرحمة والمغفرة.
- والنجاة من النار آمين رب العالمين
- . ...بنا هذا المسجد عبد الرحمن بن.
- القبيطي ومحمد ابن (كذا) علي السوسي ؟ عن

جاء النصّ حاملا لإشارة إلى نوعية الأشغال التي تمّ إنجازها، وهي عبارة عن «مسجد». وبرغم ما طرأ على المعلم من إضافات وترميمات حديثة، ما يزال الجزء الأصلي منه قائما إلى الآن وهو أصغر حجما، فتصل حدوده إلى البلاطة الثّالثة. ويبدو واضحا أنّ الهدف من تأسيسه لم يكن جامعا للخطبة، وإنّما لأداء الصلوات الخمس، خاصة أنه يقع قرب الجامع الكبير، في آخر نهج جامع الزّيتونة، وربما في بنائه أيضا استجابة للتّوسع العمراني الذي عرفته مدينة تونس خلال فترة حكم بني خراسان.وأمّا عن منفّذيْ هذه الأشغال حسب ما جاء في هذا النصّ هما عبد الرّحمان ابن القبيطي الذي ورد اسمه أيضا في نصّ نقيشة في أعلى ساكف باب الجامع الكبير الذي يفتح على سوق العطّارين ومحمد علي السوسي وحسب تسميته ينتسب إلى العائلة السوسية شأن البرجيني الذي ورد اسمه في نصّ قبة البهو، ما يقيم الدّليل على أن أمراء بني خراسان يعتمدون في عمليّة تنفيذ أشغالهم على نفس ورشة البناء وعلى نفس النقّاش. أمّا بالنسبة إلى الجانب الفنّي، فإنّنا نجد تشابه كبيرا بين هذا النّص المؤرّخ بسنة 485 هـ/ 1092م ونصّ سنة 457 هـ/ 1064م بجامع الزّيتونة والذي يرجع تاريخه إلى بداية حكم عبد الحقّ بن عبد العزيز بن خراسان، ورغم التباعد الزّمني بين الفترتين فهناك تواصل لتقاليد الكتابة في ظلّ هذه العائلة التي خصّت نفسها بأسلوب يميّزها عن غيرها.

الخاتمة

تبرز أهمّية العمارة الدّينية الخراسانيّة في بعدها التّمفصلي وقدرتها على استيعاب أنّماط الفنون السابقة لها بتبني الأساليب المعماريّة للفنّ الفاطمي الزّيري، وتهيئة البلاد بكل مرونة لاحتضان تأثيرات الفنّ المغربي الأندلسي مع قدوم الموحّدين، وتنزيل الفنّ المعمارى لهذه العائلة خلال هذه الفترة في موقعه المحوري لا الهامشي ضمن التاريخ السياسي الحضاري الإسلامي لإفريقيّة.

قائمة الصور

باب الواجهة الشّرقية لجامع الزيتونة
(صورة عدد1)

باب سوق العطّارين (صورة عدد2)

زخرف على جدار القبلة لجامع الزيتونة
(صورة عدد3)

جامع القصر (صورة عدد4)

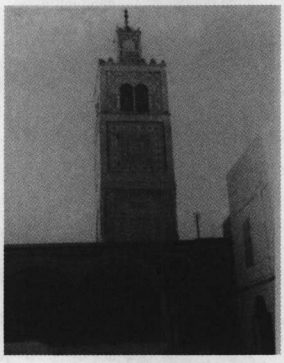

محراب جامع القصر (صورة عدد5)

جامع المهراس (صورة عدد6)

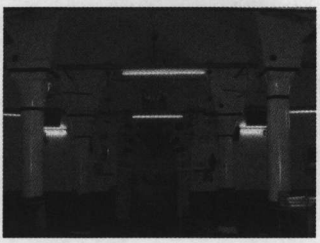

بنقيشة جامع المهراس (صورة عدد7)